

ظرف لمضمر هو صفة عذابا أى عذابا كائنا يوم الخ وليس ذلك اليوم الا يوم القيامة وكذا على ما قيل من أنه بدل من عذابا أو ظرف لقريبا وعلى هذا الاخير قيل لا حاجة الى توجيه القرب لان العذاب في ذلك اليوم قريب لا فاصلا بينه وبين المره ونظر فيه بان الظاهر جعل المنذر به قريبا في وقت الانذار لانه المناسب للتهديد والوعيد اذ لا فائدة في ذكر قربه منهم يوم القيامة فاذا تعلق به فالمراد بيان قرب اليوم نفسه فتأمل والظاهر أن المره عام للمؤمن والكافر وما موصولة منصوبة بينظر والمائد محذوف والمراد يوم يشاهد المكلف المؤمن والكافر ما قدمه من خير أو شر وجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر أى شئ قدمت يدها والجملة معاق عنها لان النظر طريق العلم والكلام في قوة ينظر جواب ما قدمت يدها وفي الكلام على ما ذكره العلامة التفتازاني تعليق ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه حيث ذكر اليدان لان اكثر الاعمال تراول بهما فجعل الجميع كالواقع بهما تفنيا وقرأ ابن أبى اسحق المره بضم الميم وضمها أبو حاتم ولا ينبغي أن تضعف لانها لغة بعض العرب ينبعون حركة الهجزة فيقولون مره ومره على حسب الاعراب (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْدَنِي كُنْتُ تُرَابًا) تخصيص لاحد الفريقين اللذين تناولهما المره فيما قبل منه بالذكر وخص قول الكافر دون المؤمن لدلالة قوله على غاية الحية ونهاية التحسر ودلالة حذف قول المؤمنين على غاية التبجح ونهاية الفرح والسرور وقال عطاه المره هنا الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم وكان الظاهر عليه الضمير فيما بعد الا انه وضع الظاهر موضعه لزيادة الذم وفيه ان تناول الفريقين هو المطابق لما سبق من صف يوم مفصل لما اشتمل على حالهما وهو الوجه لقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه ما بآ وانا انذرناكم لا يخص الكافر لان الانذار عام للفريقين أيضا فلا دلالة على الاختصاص وقال ابن عباس وقتادة والحسن المراد به المؤمن قال الامام دل عليه قول الكافر فلما كان هذا بيانا لحال الكافر وجب أن يكون الاول بيانا لحال المؤمن ولا يخفى ما فيه من الضعف كاستدلال الريانى بالآية على أن المره لا يطاق الا على المؤمن وأراد الكافر بقوله هذا ليتى كنت ترابا في الدنيا فلم أخق ولم أكلف أو ليتى كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وعن ابن عمر وأبى هريرة ومجاهد ان الله تعالى يحضر البهائم فيقتض لبعضها من بعض ثم يقول سبحانه لها كونى ترابا فيعود جميعا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى مثله والى حشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض ذهب الجمهور وسيأتى الكلام في ذلك في سورة التكوير ان شاء الله تعالى وقيل الكافر في الآية ابليس عليه اللعنة لما شاهد آدم عليه الصلاة والسلام ونسله المؤمنين وماله من الثواب تمنى أن يكون ترابا لانه احتقره لما قال خلقتى من نار وخلقته من طين وهو بعيد عن السياق وزن كان حسنا والتراب على جمع ما ذكر بمعناه المعروف والكلام على ظاهره وحقيقته وجوز لا سيما على الاخير أن يكون المراد بقول ليتى كنت في الدنيا متواضعا لطاعة الله تعالى لا جبارا ولا متكبرا والممول عليه ما تقدم كما لا يخفى

### سورة النازعات

وتسمى سورة الساهرة والطامة وهى مكية بالاتفاق وعدد آياتها ست وأربعون في الكوفي وخمس وأربعون في غيره وعن ابن عباس أنها نزلت عقب سورة عم وأولها يشبه أن يكون قسما لتحقيق ما في آخر عم أو ما تضمنته كلها وفي البحر لما ذكر سبحانه في آخر ما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيامة أقسم عز وجل في هذه على البعث ذلك اليوم فقال جل شأنه

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) أقسام من الله تعالى بطوائف من ملائكة الموت عليهم السلام الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما في رواية عن ابن عباس ومجاهد أو أرواح الكفرة على ما أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن علي كرم الله تعالى وجهه وجوير في تفسيره عن الحبر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود وعبد بن حميد عن قتادة وروى عن سعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أي يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البشر إذا أخرجها ويسبحون في إخراجها سبح الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون ويسرعون بأرواح الكفرة إلى النار وأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون أمر عقابها ونوابها بأن يهويها لأدراك ما أعد لها من الآلام والذات ومال بعضهم إلى تخصيص النزع بأرواح الكفار والنشط والسبح بأرواح المؤمنين لأن النزع جذب بشدة وقد أردف بقوله تعالى غرقا وهو مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي اغراقا في النزع من أقاصي الأجساد وقيل هو نوع والنزع جنس أي في هذا المحل وذلك أنسب بالكفار قال ابن مسعود تنزع الملائكة روح الكافر من جسده من تحت كل شجرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تفرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج يردّها في جسده وهكذا مرارا فهذا عمها في الكفار والنشط الإخراج برفق وسهولة وهو أنسب بالمؤمنين وكذا السبح ظاهر في التحرك برفق ولطافة قال بعض السلف إن الملائكة يسلمون أرواح المؤمنين سلا رقيقا ثم يتركونها حتى تستريح رويدا ثم يستخرجونها برفق وتطف كالندى يسبح في السماء فانه يتحرك برفق لثلاث يفرق فهم يرفقون في ذلك الاستخراج لثلاث يصل إلى المؤمن ألم وشدة وفي النتائج إن النشط حل العقدة برفق ويقال كما في البحر انشطت العقال ونشطته إذا مدت انشطته فانحلت والانشوطة عقدت يسهل انحلالها إذا جذبت كعقدة التسكة فإذا جعلت الناشطات من النشط بهذا المعنى كان أوفق للإشارة إلى الرفق والعطف مع اتحاد السبك لتزوين التغيرات العنوانية منزلة التغير الذاتي كما مر غير مرة الأشعار بأن كل واحد من الأوصاف المدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفة للاجلال والاعظام بالأقسام به من غير انضمام الأوصاف الأخرى ولو جعلت التازعات ملائكة العذاب والناشطات ملائكة الرحمة كان العطف للتغير الذاتي على ماهو الأصل والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتيبهما على ما قبلهما بغير مهلة وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا على المصدرية كانتصاب غرقا وأما انتصاب أمرا فعلى المفعولية للمديرات لا على نزع الحافض أي بأمر منه تعالى كما قيل وزعم أنه الأولى وتكبيره للتحويل والتفخيم وجوز أن يكون غرقا مصدرا مؤولا بالصفة المشبهة ونصبه على المفعولية أيضا للتازعات أو صفة للمفعول به لها أي نفوسا غرقا في الأجساد وحمل بعضهم غرقها فيها بشدة تعلقها بها وغلبة صفاتها عليها وكان ذلك مبنى على تجرد الأرواح كما ذهب إليه الفلاسفة وبعض أجلة المسلمين هذا ولم نقف على نص في أن الملائكة حال قبض الأرواح وإخراجها هل يدخلون في الأجساد أم لا وظاهر تفسير الناشطات أنهم حالة النزع خارج الجسد كالواقف والسابحات دخولهم فيه لإخراجها على ما قبل وأنت تعلم أن السبح ليس على حقيقته ولا مانع من أن يراد به مجرد الاتصال ونحوه مما لا توقف له على الدخول وجوز أن يكون المراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في موضعهم فيسبقون فيه إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخرى فيدبرون أمره من كفيته وما لا بد منه فيه وبسم ذلك ملائكة الرحمة وملائكة العذاب والعطف عليه لتغير الموصوفات كالصفات وأياما كان

فجواب القسم محذوف يدل عليه ما بعد من أحوال القيامة ويلوح اليه الاقسام المذكورة والتقدير والنازعات الخ لتبعين واليه ذهب الفراء وجماعة وقيل اقسام بالنجوم السيارة التي تنزع أي تسير من نزع الفرس اذا جرى من المشرق الى المغرب غرقا في النزاع وحدا في السير بان تقطع الفلك على ما يبدو للناس حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أي تخرج من نشط الثور اذا خرج من مكان الى مكان آخرو منه قول هيبان بن قحافة أرى همومي تنشط المناشطا ثم الشام بين طوراً وطوراً واسطاً

وتسبح في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة فتدبر أمراً نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات والمعاملات المؤجلة ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب سريعة قسرية وتابعة لحركة الفلك الاعظم ضرورة وحركاتها من برج الى برج ابرادتها من غير قسر لها وهي غير سريعة أطلق على الاولى النزاع لانه جذب بشدة وعلى الثانية النشط لانه برقوق وروى حمل النازعات على النجوم عن الحسن وقتادة والاحفش وابن كيسان وأبي عبيدة وحمل الناشطات عليها عن ابن عباس والثلاثة الاول وحمل السابحات عليها عن الاولين وحملها أبو روق على الليل والنهار والشمس والقمر منها والمدرات عليها عن معاذ واطافة التدبير اليها مجاز وقيل اقسام بالنفوس الفاضلة حالة المفارقة لابداها بالموت فانها تنزع عن الابدان غرقا أي نزعا شديداً من أغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل لسر مفارقتها أياها حيث الفه وكان مطية لها لا كتساب الخير ومظنة لازدياده فتندب شوقا الى عالم المالكوت وتسبح به فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات أي ملحقة باللائكة أو تصلح هي لان تكون مدبرة كما قال الامام انها بعد المفارقة قد تظهر لها آثار وأحوال في هذا العالم فقد يرى المرء شيخة بعد موته فيرشده لما يهيمه وقد نقل عن جالينوس انه مرض مرضاً عجز عن علاجه الحكاه فوصف له في منامه علاجه فأفق وفعله فافاق وقد ذكره الغزالي ولذا قيل وليس بحديث كما توهم اذا تحيزتم في الامور فاستعينوا من أصحاب القبور أي أصحاب النفوس الفاضلة المتوفين ولا شك في أنه يحصل لزارئهم مدد روحاني ببركتهم وكثيرا ما تنحل عقد الامور بانامل التوسل الى الله تعالى بحرماتهم وحمله بعضهم على الاحياء منهم الممتلين أمر موتوا قبل ان تموتوا وتفسير النازعات بالنفوس مروى عن السدي الا أنه قال هي جماعة النفوس تنزع بالموت الى ربها والناشطات بها عن ابن عباس أيضاً الا أنه قال هي النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج والسابقات بها عن ابن مسعود الا أنه قال هي أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة عليهم السلام الذين يقضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله تعالى وقيل اقسام بالنفوس حال سلوكها ونظهير ظاهرها وباطنها بالاجتهاد في العبادة والترقي في المعارف الالهية فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمال حتى تصير من المكملات للنفوس الناقصة وقيل اقسام بانفس الغزاة أو أيديهم تنزع القسي باغراق السهام وتنشط بالسهم لارمى وتسبح في البر والبحر فتسبق الى حرب العدو فتدبر أمرها واسناد السبح وما بعده الى الأيدي عليه مجاز الملاسة وحمل النازعات على الغزاة مروى عن عطاء الا أنه قال هي النازعات بالقسي وغيرها وقيل بصفات خليلهم فانها تنزع في أعنتها غرقا أي تمد أعنتها مدا قويا حتى تصقها بالاعساق من غير ارتخائها فتصير كأنها انقسمت فيها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر أمر الظفر واسناد التدبير اليها اسناد الى السبب وحمل السابحات على الخيل مروى عن عطاء أيضا وجماعة ولا يخفى ان أكثر هذه الاقوال لا يليق بشأن جزالة التنزيل وليس له قوة مناسبة للعقام ومنها ما فيه قول بما عليه أهل الهيئة المتقدمون

من الحركة الارادية للكوكب وهي حركته الخاصة ونحوها مما ليس في كلام السلف ولم يتم عليه برهان ولذا قال بخلافه المحدثون من الفلاسفة وفي حمل المدرات على النجوم ايها صحة ما يزعمه أهل الاحكام ووجهة المنجمين وهو باطل عقلا ونقلا كما اوضحنا ذلك فيما تقدم وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ايها صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول من ان الاولياء يتصرفون ببدن وقاهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الاعداء وغير ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد على معنى ان الله تعالى فرض اليهم ذلك ومنهم من خص ذلك بخمسة من الاولياء والسكل جهل وان كان الثاني أشد جهلا نعم لا ينبغي التوقف في أن الله تعالى قد يكرم من شاء من أوليائه بعد الموت كما يكرمه قبله بما شاء فيرى سبحانه المريض وينقذ الغريق وينصر على العدو وينزل القيث وكيث وكيث كرامة له وربما يظهر عز وجل من يشبهه ضرورة فتفعل ما سئل الله تعالى بحرمته مما لا اثم فيه استجابة للسائل وربما يقع السؤال على الوجه المحطور شرعا فيظهر سبحانه نحو ذلك مكررا بالسائل واستدراجا له ونقل الامام في هذا المقام عن الغزالي انه قال ان الارواح الشريفة اذا فارقت أبدانها ثم اتفق انسان مشابه للانسان الاول في الروح والبدن فانه لا يبعدان يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن حتى تصير كالماونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على أعمال الخير فتسمى تلك الماونة الهاما ونظيره في جانب النفوس الشريرة وسوسة انتهى ولم أر ما يشهد على صحته في الكتاب والسنة وكلام سلف الامة وقد ذكر الامام نفسه في المباحث المشرقية استحالة تعلق أكثر من نفس ببدن واحد وكذا استحالة تعلق نفس واحدة بأكثر من بدن ولم يتعقب ما نقله هنا فكأنه فهم ان التعلق فيه غير التعلق المستحيل فلانفعل وقال في وجه حمل المذكورات على الملائكة ان الملائكة عليهم السلام لها صفات سلبية وصفات اضافية أما الاولى فهي انها مبرأة عن الشهوة والغضب والاخلق الذميمة والموت والحرم والسقم والتركيب والاعضاء والاخلط والاركان بل هي جواهر روحانية مبرأة عن هذه الاحوال فالنازعات غرقا اشارة الى كونها منزوعة عن هذه الاحوال نزعا كلياً من جميع الوجوه على ان الصيغة للنسبية والناشطات نشطا اشارة الى أن خروجها عن ذلك ليس كخروج البشر على سبيل الكلفة والمشقة بل بمقتضى المساهية فالكلمتان اشارتان الى تعريف أحوالهم السلبية وأما صفاتهم الاضافية فهي قسبان الاول شرح قوتهم العاقلة وبيان حالهم في معرفة ملك الله تعالى وملكوته سبحانه والاطلاع على نور جلاله جل جلاله فوصفهم سبحانه في هذا المقام بوصفين أحدهما والسابحات سبحا فهم يسبحون من أول فطرتهم في بحار جلاله تعالى ثم لامنتهى لسبحهم لانه لامنتهى لعظمة الله تعالى وعلو صمديته ونور جلاله وكبريائه فهم ابدأ في تلك السباحة وثانيهما فالسابقات سبقا وهو اشارة الى تفاوت مراتبهم في درجات المعرفة وفي مراتب التجلي والتسلي شرح قوتهم العاملة وبيان حالهم فيها فوصفهم سبحانه في هذا المقام بقوله تعالى والمدبرات أمراً ولما كان التدبير لا يتم الا بعد العلم قدم شرح القوة العاقلة على شرح القوة العاملة انتهى وهو على ما في بعضه من المنع ليس بشديد المناسبة للمقام ونقل غير واحد أقوالا غير ما ذكر في تفسير المذكورات فمن مجاهد النازعات المنايا تنزع النفوس وحكي يحيى بن سلام انها الوحش تنزع الى السكلا وعن الاول تفسير الناشطات بالمنايا أيضا وعن عطاء تفسيرها بالبقر الوحشية وما يجري مجراها من الحيوان الذي ينشط من قطر الى قطر وعنه أيضا تفسير السابحات بالسفن وعن مجاهد تفسيرها بالمنايا تسبح في نفوس الحيوان وعن بعضهم تفسيرها بالسحاب وعن آخر تفسيرها بدواب البحر وعن بعض تفسير السابقات بالمنايا على معنى انها تسبق الآمال وعن غير واحد تفسير المدبرات بجبريل يدبر الرياح والجنود والوحى وميكال

يدبر انقطر والنبات وعزرائيل يدبر قبض الارواح واسرافيل يدبر الامر المنزل عليهم لانه ينزل به ويدبر النفخ في الصور والاكشرون تفسيرها بالملائكة مطلقا بل قال ابن عطية لأحفظ خلافا في أنها الملائكة وليس في تفسير شيء مما ذكر خبر صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها أعلم وما ذكرته أولا هو المرجح عندي نظرا للمقام والله تعالى أعلم وقوله سبحانه ( **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ** ) منصوب بالحواب المضمرة والمراد بالراجفة الواقعة أو النفخة التي ترجف الاجرام عندها على أن الاسناد اليها مجازي لأنها سبب الرجف أو التجوز في الطرف بجعل سبب الرجف راجفا وجوز أن تفسر الراجفة بالحركة ويكون ذلك حقيقة لان رجف يكون بمعنى حرك وتحرك كما في القاموس وهي النفخة الاولى وقيل المراد بها الاجرام الساكنة التي اشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وتسميتها راجفة باعتبار الاول ففيه مجاز مرسل وبه يتضح فائدة الاسناد وقوله تعالى ( **تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ** ) أي الوافة أو النفخة التي تردف وتتبع الاولى وهي النفخة الثانية وقيل الاجرام التابعة وهي السماء والكواكب فانها تنشق وتنتثر بعد والجملة حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث لاقادتها امتداد الوقت وسعته حيث أفادت ان اليوم زمان الرجفة المقيدة بتسمية الرادفة لها وتبعية الشيء الآخر فرع وجود ذلك الشيء فلا بد من امتداد اليوم الى الرادفة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون عند الرادفة أعني النفخة الثانية وبينها وبين الاولى أربعون لتحويل اليوم ببيان كونه موقعا للدهيتين العظيمتين وقيل يوم ترجف منصوب باذكري فتكون الجملة استئنافية مضمونة الحواب المضمرة كأنه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى ( **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ** ) أي يوم ترجف وحفت القلوب أي اضطربت يقل وجف القلب وحيفا اضطرب من شدة الفزع وكذلك وجب وحيبا دروي عن ابن عباس أن واجفة بمعنى خائفة بلفظ همدان وعن السدي زائلة عن مكانها ولم يجعل منصوبا بواجفة لانه نصب ظرفه أعني يومئذ واتأسيس أولى من التأكيد فلا يحمل عليه كيف وحذف المضاف وابدال التنوين مما ياباه أيضا ورفع قلوب على الابتداء ويومئذ متعلق بواجفة وهي الخبر على ما قيل وهو الاظهر كما في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة وجاز الابتداء بالنكرة لان تنكيرها للتوبيخ وهو يقوم مقام الوصف المخصص نعم التوبيخ في النظر اظهر لذكر المقابل بخلاف ما نحن فيه ولكن لافرق بعد ما ساق المعنى اليه وان شئت فاعتبر ذلك لا تكثير كما اعتبر في شرأ هر ذا ناب وقيل واجفة صفة قلوب مصححة للابتداء بها وقوله تعالى ( **أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** ) أي أبصار أهلها ذليلة من الخوف ولذلك أضافها اليها فلاضافة لادنى ملاسة وجوز أن يراد بالابصار البصائر أي صارت البصائر ذليلة لا تدرك شيئا فكفى بذلها عن عدم ادراكها لان عز البصيرة إنما هي بالادراك وبحث في كون القلوب غير مدركة يوم القيامة وأجيب بأن المراد شدة الذهول والحيرة جملة من مبتدأ وخبر في محل رفع على الخبرية لقلوب وتعمق بأنه قد اشتهر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قال غير واحد أن الصفات قبل العلم بها أخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف وثبوت الخشوع لا بصار أمجاب القلوب سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوان الموضوع مسلم الثبوت مفروضا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما يحتمل على ان الوجيف الذي هو عبارة عن اضطراب القلب وقلقه من شدة الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول لخبيل أهون الثمرين عمدة وأشد ما فضلة مما لاعهد له في الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالمعوم والشمول

تهوين للخطب في موقع التحويل انتهى وأنت تعلم ان المشتهر وما قاله غير واحد غير مجمع على اطراده وان بعض ما اعترض به يندفع على ما يفهمه كلام بعض الاجلة من جواز جعل المفرد خبراً والجملة بمد صفة لكنه بعيد وما قيل على الاول من ان جعل التووين للتنويع مع الباسه مخالف للظاهر وكونه كالوصف معنى تعسف خروج عن الانصاف وزعم ابن عطية ان النكرة تخصصت بقوله تعالى يومئذ ومقرب بأنه لا تخصص بالاجرام بظروف الزمان وقدر عصام الدين جواب القسم لياتين وقال نحن نقدره كذلك ونجعل يوم ترجف فاعلاله مرفوع المحل ونجعل تتبعها الرادفة صفة للراجفة بجملها في حكم النكرة لكون التعريف للمهد الذهني نحو امر على اللثيم يسبى وفيه ما فيه وفيه ما فيه وقيل ان الجواب تتبعها الرادفة ويوم منصوب به ولا م القسم محذوفة أي ليوم كذاتتبعها الرادفة ولم تدخل نون التأكيد لانه قد فصل بين اللام المقدرة والفعل وليس بذلك وقال محمد بن علي الترمذي ان جواب القسم ان في ذلك لمرة لمن يخشى وهو كما ترى ومثله ما قيل هو هل أتاك حديث موسى لانه في تقدير قد أتاك وقال أبو حاتم على التقديم والتأخير كانه قيل فاذا هم بالساهرة والتنازعات وخطاه ابن الانباري بان الغاء لا يفتح بها الكلام وبالجملة الوجه الوجه هو ما قدمنا وقوله تعالى (يقولون إنا لمرءودون في الحفرة) حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به أثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار أي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متمجين منه إنا لمرءودون بعد موتنا في الحفرة أي في الحالة الاولى يعنون الحياة كما قال ابن عباس وغيره وقيل انه تعالى شأنه لما أقسم على البعث وبين ذلهم وخوفهم ذكر هنا اقرارهم بالبعث ورددهم الى الحياة بعد الموت فالاستفهام لاستغراب ما شاهدوه بعد الانكار والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لما يقولون اذ ذاك والظاهر ما تقدم وان القول في الدنيا وأياما كان فهو من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فخفها أي أثر فيها بمشيه والقياس المحفورة فهي اما بمعنى ذات حفر أو الاسناد مجازي أو الكلام على الاستعارة المكنية بتشبيه القابل بالفاعل وجعل الحفورية تخيلاً وذلك نظير ما ذكروا في عيشة راضية ويقال لكل من كان في أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجوع الى حافرته. وعليه قوله

أحفرة على صلح وشيب \* معاذ الله من سفه وعار

يريد أراجع الى ما كنت عايشه في شبابي من الغزل والتصابي بعد أن ثبت معاذ الله من ذلك سفها وعاراً ومنه المثل النقد عند الحفارة فقد قيل الحفارة فيه بمعنى الحالة الاولى وهي الصفة أي النقد حال العقد لكن نقل الميسداني عن ثعلب ان معناه النقد عند السبق وذلك ان الفرس اذا سبق أخذ الرهن والحفارة الارض التي حفرها السابق بقوائمه على أحد التأويلات وقيل الحفارة جمع الحافر بمعنى القدم أي يقولون إنا لمرءودون أحياء نمشى على أقدامنا ونطأ بها الارض ولا يخفى ان اداء اللفظ هذا المعنى غير ظاهر وعن مجاهد الحفارة القبور المحفورة أي لمرءودون أحياء في قبورنا وعن زيد بن أسلم هي النار وهو كما ترى وقرأ أبو حيوة وأبو بحريه وابن أبي عمير في الحفرة بفتح الحاء وكسر الفاء على انه صفة مشبهة من حفر اللازم كمل مطاوع حفر البناء للمجهول يقال حفرت أسنانه حفرت حفراً بفتحين اذا اثر الاكال في أسناخها وتغيرت ويرجع ذلك الى معنى المحفورة وقيل هي الارض المنتنة المتغيرة باجساد موتاهم وقوله تعالى (إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً) تأكيد لانكار البعث بذكر حالة منافية له والفاعل في اذا مضمرة يدل عليه مردودون أي أننا كنا عظاماً بالية نرد ونبث مع كونها أبعد شيء من الحياة وقرأ

نافع وابن عامر اذا كنا باسقاط همزة الاستفهام فويل يكون خبر استهزاء بعد الاستفهام الانتكاري واستظهر انه متعلق بمردودون وقرأ عمر وأبى وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق ومجاهد والاخوان وأبو بكر ناخرة بالالف وهو كنعرة من نخر العظم أى بلى وصار أجوف تمر به الريح فيسمع له نخير أى صوت وقراءة الاكثرين أبلغ فقد صرحوا بان فعلا أبلغ من فاعل وأن كانت حروفه أكثر وقولهم زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى أغلبي أو اذا اتحد النوع لا اذا اختلف كأن كان فاعل اسم فاعل وفعل صفة مشبهة نعم تلك القراءة اوفق بروس الآتى واختياره لذلك لا يفيد اتحادها مع الاخرى في المبالغة كما وهم الى الابلغية ذهب المعظم وفسرت النعرة عليه بالاشد بلى وقال عمرو بن العلاء النعرة التى قد بليت والناخرة التى لم تنخر بعد ونقل اتحاد المعنى عن الفراء وأبى عبيدة وأبى حاتم وآخرين وقوله تعالى ( قالوا ) حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسط قالوا بينهما للايدان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستدر صدورهم عنهم في كافة أوقاتهم حسبما ينبى عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعده عن الوقوع ( تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ) أى ذات خسار أو خاسر أصحابها أى اذا صحت تلك الرجعة فنحن خاسرون لتكذيبنا بها وأبرزوا ما قطعوا بانتهائهم واستحالتهم في صورة ما يلب على الظن وقوعه لمزيد الاستهزاء وقال الحسن خاسرة كاذبة أى بكائنة فكان المعنى تلك اذا كنا عظاما نعرة كرهة ليست بكائنة وقوله تعالى ( فانما هي زجرة واحدة ) تعليق لمقدر يقتضيه انتكازهم ذلك فانه لما كان مداره استصعابهم الكرة رد عليهم ذلك فقيل لانهسبوا تلك الكرة صعبة فانما هي صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تبيها على كمال انصافها كماها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة وقوله تعالى ( فاذا هم بالساهرة ) حينئذ بيان لتراتب الكرة على الزجرة مفا جاة أى فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا في بطنها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف غيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة قيل وجه الارض والفلاة وأنشدوا قول أمية بن أبى الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر \* وما فاهوا به أبدا مقيم

وفي الكشف الارض البيضاء أى التى لانبات فيها المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الأشعث بن قيس

وساهرة يضحى السراب مجللا \* لا قطارها قد جبتها ملتئا

أولان سالها لانام خوف الهلكة وفي الاول مجاز على المجازو على الثانى السهر على حقيقته والتجوز في الاسناد وحكى الراغب فيها قولين الاول انها وجه الارض والثانى انها أرض القيامة ثم قال وحققتها التى يكثر الوطء بها فسكنها سهرت من ذلك اشارة الى نحو ما قال الشاعر \* تحرك يظنان اتراب ونائم \* وروى الضحاك عن ابن عباس أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط بخلقها عز وجل حينئذ وعنه أيضاً أنها أرض مكة وقيل هي الارض السابعة بأنى الله تعالى بها فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال وهب بن منبه جبل بالشام يمد الله تعالى يوم القيامة خسرة الناس وقال أبو العالية وسفيان أرض قريبة من بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقال قتادة هي جهنم لانه لا نوم لمن فيها وقوله تعالى ( هل أتيتك حديث موسى ) كلام مستأنف وارد لتسوية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تكذيب قومه وتهديدهم عليه بأن يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتر ان هذا اول ما اناه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام

ترغيب له صلى الله تعالى عليه وسلم في استماع حديثه كانه قيل هل أتاك حديثه أنا اخبرك به وان اعتبر آياته قبل هذا وهو المتبادر من الایجاز في الاقتصاص أليس قد أتاك حديثه وليس هل بمعنى قد على شئ من الوحيين وقوله تعالى ﴿ اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴾ ظرف للحديث لاللائيان لاختلاف وقتيهما وجوز كونه مفعول اذكر مقدرا وتقدم الكلام في الواد المقدس واختلاف القراء في طوى ﴿ اذهب إلى فرعون ﴾ على ارادة القول والتقدير وقال له أو قائله اذهب الخ وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة يدل عليه قراءة عبد الله أن اذهب لان في النداء معنى القول وجوز أن يكون بتقدير ان المصدرية قبلها حرف جر ﴿ انه طفى ﴾ تمليل للامر أو لوجوب الامتثال به ﴿ قل ﴾ بعد ما أتته ﴿ هل لك إلى أن تزكى ﴾ أى هل لك ميل الى أن تزكى فلك في موضع الخبر مبتدا محذوف والى أن ترى متعلق بذلك المبتدا المحذوف ونحوه قول الشاعر  
فهل لكم فيها الى فاني ✽ بصير بما أعيى النطاسى حذيا

قد يقال هل لك في كذا فبؤتى بنى ويقدر المبتدا رغبة ونحوه ما يمدى بها ومنهم من قدره هنا رغبة لانها تعدى بها أيضا وقال أبو البقاء ما كان المعنى أدعوك جىء بالى ولعله جعل الظرف متعلقا بمعنى الكلام أو بمقدر يدل عليه وتركى بحذف احدى التاءين أى تتطهر من دنس الكفر والظلمان وقرأ الحرمان وأبو عمرو بخلاف تركى بنشديد الزاى وأصله كما أنشأنا اليه تزكى فأدغمت التاء الثانية في الزاى ﴿ وأهديك إلى ربك ﴾ أى ارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه ﴿ فتخشى ﴾ اذا خشية لا تكون الا بعد معرفته قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى اتى منه كل خير ومن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه الترمذى عن أبى هريرة من خاف ادج ومن ادج بلغ المنزل وفى الاستفهام مالا يخفى من التلطف في الدعوة والاستئزال عن العتو وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولنا لعله يتذكر او يخشى وتقديم التزكية على الهداية لانها تخلية والفاء في قوله تعالى ﴿ فأرأيه الآية الكبرى ﴾ فصيحة تفصح عن حمل قد طويت تمويلا على تفصيلها في موضع آخر كانه قيل فذهب وكان كيت وكيت فإراه واقصر الزمخشري في الحواشى على تقدير جملة فقال ان هذا معطوف على محذوف والتقدير فذهب فأراه لان قوله تعالى اذهب يدل عليه فهو على نحو ضرب بعصاك الحجر فانبجست والاراء اما بمعنى التبصير أو بمعنى التعريف فان الامين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اظهاراً لتجلده ونسبتها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد أرينا آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى على ما روى عن ابن عباس قلب العصاكية فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها وعلى ما روى عن مجاهد ذلك واليد البيضاء فانهما باعتبار الدلالة كالأية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع في قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار ما في تضاعفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون وجوز أن يراد بها مجموع معجزاته عليه السلام والوحدة باعتبار ما ذكر والفاء لتعقيب أولها أو مجموعها باعتبار أولها وكونها كبرى باعتبار معجزات من قبله من الرسل عليهم السلام أو هو للزيادة المطلقة ولا يخفى بمداه ويزيده بعدا ترتيب حشر السحرة بعد فانه لم يكن الا على ارادة تينك الآيتين واذباره عن العمل بمقتضاها وأما عداها من التسع فانما ظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة وزعم غلاة

الشعبة أن الآية الكبرى على كرم الله تعالى وجهه أراه اياه متطورة روحه الكريمة بأعظم طور وهو هذيان وراء طور العقل وطور النقل ( فَكَذَّبَ ) بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا ( وَعَصَى ) الله تعالى بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجتراً على انكار وجود رب العالمين رأساً وكان الامين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظمة التي يدعيها الطاغية وقبلها منه فنته الباغية لابارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر فقط وفي جعل متعلق التكذيب موسى عليه السلام ومتعلق العصيان الله عز وجل ما ليس في جعلهما موسى كما قيل فكذب موسى وعصاه من الذم كما لا يخفى ( ثُمَّ أَدْبَرَ ) تولى عن الطاعة ( يَسْتَمِي ) أى ساعيا مجتهدا في ابطال أمره عليه السلام ومعارضة الآية وثم لان ابطال ذلك ونقضه يقتضى زمانا طويلا وجوز أن يكون الادبار على حقيقته أى ثم انصرف عن المجلس ساعيا في ابطال ذلك وقيل أدبر يسرى هاربا من الثعبان فانه روى أنه لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشمر فاغراقاه بين لحييه ثمانون زراعا فوضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فهرب فرعون وأحدث وانهمز الناس مزدحين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وفي بعض الآثار أنها انقلبت حية وارتفعت في السماء قدر ميسل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فساد عصى وأنت تعلم أن هذا ان كان بعد حشر السحرة للمعارضة كما هو المشهور فلا نظير صحة ارادته ههنا اذا أريد بالحشر بعد حشرهم وان كان بعد التكذيب والعصيان وقبل الحشر فلا يظهر تراخييه عن الأولين نعم قيل ان ثم عليه للدلالة على استبعاد ادباره مرعوبا مسرعا مع زعمه الالهية وقيل أريد بقوله سبحانه ثم أدبر ثم أقبل من قولهم أقبل يفعل أى أنشأ لكن جعل الادبار موضع الاقبال تلميحا وتنبيها على أنه كان عليه دمارا وادبارا ( فَحَشَرَ ) أى نجح السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حشرين وقوله سبحانه فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى أى بما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جمع جنوده وجوز ان يراد جمع أهل مملكته ( فَنَادَى ) في الجمع نفسه أو بواسطة المنادى وأيد الاول بقوله تعالى ( قَالِ أَتَأْتُرُونَهُمْ بِكُمُ الْأَعْلَى ) وعلى الثانى فيه تقدير رأى فقال يقول فرعون أنا ربكم الخ مع ما في الثانى من التجوز وفي بعض الآثار انه قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وأراد اللعين تفضيل نفسه على كل من يلى أمورهم ( فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى يتكل من رآه أو سمعه ويمتعه من تعاطى ما يفضى اليه وهو نصب على أنه مصدر مؤ كد كوعد الله وصيغة الله كأنه قيل نكل الله تعالى به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق في الآخرة والاعراق والاذلال في الدنيا وجوز أن يكون نصبا على انه مفعول مطلق لاخذ أى أخذه الله تعالى أخذ نكال الآخرة الخ وأن يكون مفعولا له أى أخذه لاجل نكال الخ وأن يكون نصبا بنزع الحافض أى أخذه بنكال الآخرة والاولى واصله الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخرية تنك من سماعها وتمتعه من تعاطى ما يؤدى اليها فيها وأن يكون في تأويل المشتق حالا واصله على معنى في أى منكلا لمن رآه أو سمع به في الآخرة والاولى وجوز أن تكون الاضافة عليه لامية وحمل الآخرة والاولى على الدارين هو الظاهر وروى عن الحسن وابن زيد وغيرهما وعن ابن عباس وعكرمة والضحاك والشعبي ان الآخرة قوله أنا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقيل بالعكس فهما كلمتان

وكان بينهما على ما قالوا أربعون سنة وقال أبو رزين الاولى حالة كفره وعصيانه والآخرة قوله أنا ربكم الاعلى وعن مجاهد انهما عبارتان عن أول معاصيه وآخرها أى نكل بالجميع والاضافة على جميع ذلك من اضافة المسبب الى السبب ومآل من يقول بقبول إيمان فرعون الى هذه الاقوال وجعل ذلك السكال الاغراق في الدنيا وقد قدمنا الكلام في هذا المقام ( **إِنَّ فِي ذَلِكَ** ) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ( **لَعِبْرَةً** ) عظيمة ( **لِمَنْ يَخْشَى** ) أى لمن شانه أن يخشى وهو من شأنه المعرفة وهذا اما لان من كان في خشية لا يحتاج للاعتبار أو ليشمل من يخشى بالفعل ومن كان من شأنه ذلك على ما قيل وقوله تعالى ( **ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا** ) خطاب للمخاطبين في جواب القسم أعنى لتبئن من أهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيك بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله سبحانه فانما هي زجرة واحدة ونصب خلقا على التمييز وهو محمول عن المبتدأ أى اخلقكم بعد موتكم اشد أى أشق وأصعب في تقديركم ( **أَمْ السَّمَاءُ** ) أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدناها وقوله تعالى ( **بَنَاهَا** ) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله تعالى ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف من الافعال من التثنية على تمييزه وتفعيضه شانه عز وجل ما لا يخفى وقوله سبحانه ( **رَفَعَ سَمَكَهَا** ) بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا وجوز أن يفسر السمك بالثخن فامنى جعل ثخنها مرتفعا في جهة العلو ويقال للثخن سمك لما فيه من ارتفاع السطح الاعلى عن السطح الاسفل واذا لوحظ هذا الامتداد من العلو للسفل قيل له عمق ونظير ذلك الدرج والدرك وقد جاء في الاخبار الصحيحة ان ارتفاع السماء الدنيا عن الارض خمسمائة عام وارتفاع كل سما عن سما وثخن كل كذلك والظاهر تقدير ذلك بالسير المتعارف وان المراد بالعدد المذكور التحديد دون التكثير ونحن مع الظاهر الان يمنع عنه مانع ( **فَسَوَّيْنَاهَا** ) أى جعلها سواء فيما اقتضته الحكمة فلم يخل عز وجل قطعة منها عما تقتضيه الحكمة فيها ومن ذلك ترتيبها بالكواكب وقيل تسويتها جعلها ملساء ليس في سطحها انخفاض وارتفاع وقيل جعلها بسيطة متشابهة الاجزاء والشكل فليس بعضها سطحا بعضها زاوية وبعضها خطا وهو قول بكريتها الحقيقية واليه ذهب كثير وقالوا وحكاها الامام لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فإى ضرر في الدين ينشأ من كونها كرية وقيل تسويتها تميمها بما يتم به كمالها من الكواكب والتمتات والتداوير وغيرها مما بين في علم الهيئة من قولهم سوى أمره أى أصلحه أو من قولهم استوت الفساحة اذا نضجت وانت تعلم أن هذا مع بنائه على اتحاد السموات والافلاك غير معروف في الصدر الاول من المسلمين لعدم وروده عن صاحب المعراج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم ظهور الدليل عليه والادلة التى يذكرها أهل الهيئة لتلك الامور لا يخفى حالها ولما لم يقل بما تقتضيه مخالفاً من أهل الهيئة اليوم والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ( **وَأَغْطَشَ آيَاتُهَا** ) أى جمله مضملاً يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه ويقال ايضا أغطش الليل كما يقال أظلم وجاء ليلة غطشاه وليل أغطش وغطش قال الاعشى

عقرت لهم ناقتى موهنا \* فليلهم مدلم غطش

وفي البحر عن كتاب اللغات في القرآن أغطش اظلم بلفظ أمار وأشعر ( **وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا** ) أى أبرز نهارها والضحي في الاصل على ما يفهم من كلام الراغب انبساط الشمس وامتداد النهار ثم سمي به الوقت

المعروف وشاع في ذلك وتجاوز به عن النهار بقريئة المقابلة وقيل الكلام على حذف مضاف أى ضحى شمسها أى ضوء شمسها وكنى بذلك عن النهار والاول أقرب وعبر عن النهار بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها وفيه من امتعاش الأرواح ما ليس في سائرهما فكان أوفق لمقام تذكير الحجّة على منكري البعث وإعادة الأرواح الى ابدانها وقيل إنه لذلك كان أحق بالذكر في مقام الامتنان وازافة الليل والضحى الى السماء لانهما محدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي سبب حركة الأرض بسبب حركتها على القول بحركتها لاتحادها مع الفلك أو دحاهما إنما يحصلان بسبب حركة الشمس في فلكها فيها على القول بأن السماء والفلك متغايران والمتحرك إنما هو الكوكب في الفلك كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى كل في فلك يسبحون وان الفلك ليس الا مجرى الكوكب في السماء وقيل أضيفا اليها لانهما أول ما يظهران منها اذ أول الليل باقبال الظلام من جهة المشرق وأول النهار بطلوع الفجر واقبال الضياء منه وفي الكشف اضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها واعترض بان الليل ظل الأرض وأجيب بانه اعتبار بمراى الناظر كذلك كما ان زينة السماء الدنيا أيضا اعتبار بمراى الناظر وقيل اضافتهما اليها باعتبار انهما انما يحدثان تحتها وشملا بهذا الاعتبار ما لم يكذب يخطر في اذهان العرب من ليل ونهار طول كل منهما ستة أشهر وهما الليل ونهار عرض تسمين حيث الدور رحوى وتمقب بانهم قالوا ان ظل الأرض للحر والليل ينتهي الى فلك الزهرة وهي في السماء الثالثة فالخصر غير تام وفيه نظر فتأمل وبالجملة الاضافة لادنى ملائمة (والأرض بعد ذلك) الظاهر انه اشارة الى ما تقدم من خلق السماء واغطاش الليل واخراج النهار دون خلق السماء فقط وانتصاب الأرض بضمير قيل على شريطة التفسير وقيل تقديره تذكر أو تدبر أو اذكر وستعلم ما في ذلك ان شاء الله تعالى ومعنى قوله تعالى (دحاهما) بسطها ومدّها السكتى أهلها وتقابهم في أقطارها من الدحو أو الدحى بمعنى البسط وعليه قول أمية بن أبي الصلت

وبت الخاق فيها اذ دحاهما \* فهم قطنها حتى التنادى

وقيل دحاهما سواها وأنشدوا قول زيد بن عمرو بن نفيل

واسلمت وجهى لمن أسلمت \* له الأرض تحمل صخرأ ثقلا

دحاهما فلما استوت شدّها \* بايد وارسى عليها الجبالا

والاكثرون على الاول وأنشد الامام بيت زيد فيه والظاهر ان دحوها بعد خلقها وقيل مع خلقها فالمراد خلقها مدحوة وروى الاول عن ابن عباس ودفع به توهم تعارض بين آيتين أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عنه ان رجلا قال له آيتان في كتاب الله تعالى تخالف احدهما الاخرى فقال انما أتيت من قبل رأيك اقرأ قل أنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين حتى بلغ ثم استوى الى السماء وقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاهما قال خلق الله تعالى الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء وانما قوله سبحانه دحاهما بسطها وتمقب الامام بان الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوى ويستحيل أن يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا وأجيب أنه لعل مراد القائل بخلقها أولا ثم دحوها ثانيا خلق مادتها أولا ثم تركيبها واظهارها على هذه الصورة والشكل مدحوة مبسطة وهذا كما قيل في قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات ان السماء خلقت مادتها أولا ثم سويت وأظهرت على صورتها اليوم وعن الحسن ما يدل على أنها كانت يوم خلقت قبل الدحو كهيئة الفهر ويشعر بانها لم تكن على عظمها اليوم وتمقبه بعضهم بشيء آخر وهو انه يأتى ذلك قوله تعالى خلق لكم في الأرض

جميعا ثم استوى الى السماء الآية فانه يفيد ان خلق ما في الارض قبل خلق السموات ومن المعلوم أن خلق ما فيها انما هو بعد الدحو فكيف يكون الدحو بعد خلق السموات وأجيب بان خلق في الآية بمعنى قدرأو أراد الخلق ولا يمكن أن يراد به فيها الایجاد بالفعل ضرورة ان جميع المنافع الارضية يتجدد ايجادها أولا فاولا سلمنا أن المراد الایجاد بالفعل لكن يجوز ان يكون المراد خلق مادة ذلك بالفعل ومن الناس من حمل ثم على التراخي الربني لان خلق السماء اعجب من خلق الارض وقال عصام الدين ان بعد ذلك هنا كما في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنييم يعني فعل بالارض ما فعل بعد ماسمعت في السماء والمراد التأخير في الاخبار فخلق الارض ودحوها واخراج مائها ومرعاها وارساء الجبال عليها عنده قبل خلق السماء كما يقتضيه ظاهر آية البقرة وظاهر آية الدخان وأيد حمل البعدية على ما ذكر بان حملها على ظاهرها مع حمل الاشارة على الاشارة الى مجموع ما تقدم مما سمعت يلزم عليه ان اغطش الليل وابرز النهار كانا قبل خلق الارض ودحوها وذلك مما لا يتسنى على تقدير انها غير مخلوقة اصلا وما بعد على تقدير انها مخلوقة غير عظيمة وأيضا قيل لولم تحمل البعدية ما ذكر وقيل بنحوه ما قال ابن عباس من تاخر الدحو عن خلق السماء مع تقدم خلق الارض من غير دحو على خلقها لم تنحسم مادة الاشكال اذ آية الدخان ظاهرة في ان جعل الرواسي في الارض قبل خلق السماء وتسويتها وهذه الآية الى آخرها ظاهرة في ان جعل الرواسي بعد وبالجملة انه قد اختلف اهل التفسير في ان خلق السماء مقدم على خلق الارض أو مؤخر فقال ابن الطاشكبري نقل الواحدى عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على خلق الارض واختاره جمع لكنهم قالوا ان خلق ما فيها مؤخر وأجابوا عما هنا وآية البقرة بان الخلق فيها بمعنى التقدير أو بمعنى الایجاد وتقدير الارادة وان البعدية ههنا لايجاد الارض وجميع ما فيها وعما هنا وآية الدخان بنحو ذلك فقدروا الارادة في قوله تعالى خلق الارض في يومين وكذا في قوله سبحانه وجعل فيها رواسي وقالوا يؤيد ما ذكر قوله تعالى فقال لها وللارض أنثيا طوعا أوكرها قالتا أنثينا طائعين فان الظاهر ان المراد أنثيا في الوجود ولو كانت الارض موجودة سابقة لما صح هذا فكانه قال سبحانه أنثيكم للكافرين بالذى أراد ايجاد الارض وما فيها من الرواسي والاقوات في أربعة ايام ثم قصد الى السماء فتعلمت ارادته بايجاد السماء والارض فاطاعا لامر التكوين فوجد سبع سموات في يومين وأوجد الارض وما فيها في أربعة ايام ونكتة تقديم خلق الارض وما فيها في الظاهر في سورتي البقرة والدخان على خلق السموات والعكس ههنا ان المقام في الاولين مقام الامتنان وتعداد انعم على أهل الكفر والايمان فقتضاه تقديم ما هو نعمة بالنظر الى المخاطبين من الفريقين فكانه قال سبحانه هو الذى دبر أمركم قبل السماء ثم خلق السماء والمقام هنا مقام بيان كمال القدرة فقتضاه تقديم ما هو أدل انتهى وفي الكشف اطبق أهل التفسير أنه تم خلق الارض وما فيها في أربعة ايام ثم خلق السماء في يومين الا مانقل الواحدى في البسيط عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها والكلام مع من فرق بين الایجاد والدحو وما قيل ان دحو الارض متأخر عن خلق السماء لاعن تسويتها يرد عليه بعد ذلك فانه اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسوية والجواب بتراخي الرتبة لا يتم لما نقل من أطباق المفسرين فالوجه ان يجعل الارض منصوبا بمضمر نحو تذكر وتذكر واذا ذكر الارض بعد ذلك وان جعل مضمرا على شريطة التفسير جعل بعد ذلك اشارة الى المذكور سابقا من ذكر خلق السماء لا خلق السماء نفسه ليدل على انه متأخر في الذكر عن خلق السماء تنبيها على انه قاصر في الدلالة عن الاول لكنه تميم كما نقول جملا ثم نقول بعد ذلك كيت وكيت وهذا كثير في استعمال العرب والمعجم وكان بعد ذلك بهذا

المعنى عكسه إذا استعمل لتراخي الرتبة وقد تستعمل ثم بهذا المعنى وكذا الفاء وهذا لا يناقئ قول الحسن انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية فانه يدل على ان كون السماء دخانا سابق على دحو الارض وتسويتها وهو كذلك بل ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان يدل على ذلك وايجاد الجوهرة النورية والنظر اليها بعين الجلال لمبطن بالرحمة والجمال وذوبها وامتياز لطيفها عن كثيفها وصمود المادة الدخانية اللطيفة وبقائه الكثيف هذا كله سابق على الايام الستة وثبت في الخبر الصحيح ولا يناقئ الآيات وأما ما نقله الواحدى عن مقاتل واختاره الامام فلا اشكال فيه ويتعين ثم في سورتي البقرة والسجدة على تراخي الرتبة وهو أوفق لمشهور قواعد الحكماء لكن لا يوافق ما روى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفي آخر يوم الجمعة ثم خلق آدم عليه السلام انتهى والذي اميل اليه ان تسوية السماء بما فيها سابقة على تسوية الارض بما فيها لظهور أمر العملية في الاجرام العلوية وأمر المملوية في الاجرام السفلية ويعلم تأويل ما يناقئ ذلك مما سمعت وأما الخبر الاخير وفي محته مقال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقد مر شيء مما يتعلق بهذا المقام وأما أعدنا الكلام فيه تذكيراً لذوى الافهام فتأمل والله تعالى الموفق لتحصيل المرام وقوله تعالى (أخرج منها ماءها) ان فجر منها عيوننا وأجرى أنهارا (ومرعيها) يقع على الرعى بالكسر وهو السكندر والرعى بالفتح وهو المصدر وكذا على الموضع والزمان وزعم بعضهم انه في الاصل للموضع ولعله أراد أنه أشهر معانيه والمناسب للمقام المعنى الاول لكنه قيل انه خاص بما يأكله الحيوان غير الانسان وتجوز به عن مطلق الماء كقول للانسان وغيره فهو مجاز مرسل من قبيل المرسل وقال الطبري يجوز أن يكون استعارة مصرحة لان الكلام مع منكرى الحشر بشهادة أنتم أشد خلقا كانه قيل أيها المعاندون المملوزون في قرن الهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة بيان وتفسير لدحاها وتكلمة له فان السكندر لا تتأني بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من الماء كل والمشراب أو حال من فاعله باضار قدأوبدون وكلا الوجهين مقتض لتجريد الجملة عن العاطف وقوله تعالى (والجبال) منصوب بمضمرة يفسره قوله سبحانه (أرسيها) أى أثبتها وفيه تنبيه على أن الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل ليس من مقتضيات ذاتها وللفلاسفة المحدثين كلام في أمر الارض وكيفية بدنها لا مستند لهم فيه الا آثار أرضية يزعمون دلالتها على ذلك هي في أسفل الارض عن ساحة القبول وقرأ عيسى برفع الارض والحسن وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وابن أبي عمير وأبو السمال برفع الارض والجبال وهو على ما قيل على الابتداء وتعقبه الزجاج بأن ذلك مرجوح لان العطف على عملية وأورد عليه أن قوله تعالى بناها بيان لكيفية خلق السماء وقوله سبحانه رفع سمكها بيان لبناء وليس لدحو الارض وما بعنده دخل في شيء من ذلك فكيف يعطف عليه ما هو معطوف على المجموع عطف القصة على القصة والمعتبر فيه تناسب القصتين وهو حاصل هنا فلا ضير في الاختلاف بل فيه نوع تنبيه على ذلك وقيل ان جملة قوله تعالى والارض الخ على القراءتين ليست معطوفة على قوله سبحانه رفع سمكها لانها لاتصلح بيانا لبناء السماء فلا بد من تقدير معطوف عليه وحينئذ يقدر جملة عملية على قراءة الجمهور أى فعل ما فعل في السماء وجملة اسمية على قراءة الآخرين أى السماء وما يتعلق بها مخلوق له تعالى وجوز عطف الارض بالرفع على السماء من حيث المعنى كانه قيل السماء أشد خلقا والارض بعد ذلك أى والارض

بعد ما ذكر من السماء أشد خلقا فيكون وزان قوله تعالى دحاها الخ وزان قوله تعالى بناها الخ وحينئذ فلا يكون بعد ذلك مشعرا بتأخر دحو الارض عن بناء السماء وقوله تعالى ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ قيل مفعول له أى فعل ذلك تمتعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من الدحو واخراج الماء والمرعى واصالة اليهم ولانعامهم فان المرعى كما سمعت مجاز عما يأكله الانسان وغيره وقيل مصدر مؤ كد لفعله المضمر أى تمتعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها فى معنى تمتع بذلك وأورد على الاول ان الخطاب لمنكرى البعث والمقصود هو تمتيع المؤمنين فلا يلائم جعل تمتيع الآخرين كالفرض فالاولى ما بعده وأجيب بأن خطاب المشافهة وان كان خاصا بالحاضرين الا ان حكمه عام كما تقرر فى الاصول فالسأل الى تمتيع الجنس وأيضا النصب على المصدرية بفعله المقدر لا يدفع المحذور لكونه استثناء لبيان المقصود ولا يخفى ان كون المقصود هو تمتيع المؤمنين محل بحث وقوله سبحانه ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى﴾ الخ شروع فى بيان معادهم أتر بيان أحوال معاشهم بقوله عز وجل متاعا الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها على ما قيل كما ينبى عنه لفظ المتاع والطامة أعظم الدواهي لانه من طم بمعنى علا كما ورد فى المثل جرى الوادى فطم على القرى وجاء السيل فطم الركى وعلوها على الدواهي غلبتها عليها فيرجع لما ذكر قيل فوصفها بالكبرى للتأكيد ولو فسر كونها طامة بكونها غالبية للخلائق لا يقدر على دفعها لكان الوصف مخصصا وقيل كونها طامة باعتبار انها تغلب وتفوق ما عرفوه من دواهي الدنيا وكونها كبرى باعتبار انها أعظم من جميع الدواهي مطلقا وقيل غير ذلك وأنت تعلم ان الطامة الكبرى صارت كالعلم للقيامة وروى كونها اسما من اسمائها هنا عن ابن عباس وعنه أيضا وعن الحسن انها النفخة الثانية وأخرج ابن ابي شيبة وابن المنذر عن القاسم بن الوليد الهمداني انها الساعة التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وأخرج عن عمرو بن قيس الكندي انها ساعة يساق أهل النار الى النار وفي معنى قول مجاهد هي اذا دفنوا الى مالك خازن جهنم ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ يدل كل أو بعض من اذا جاءت على ما قيل وقيل بدل من الطامة الكبرى فيكون مرفوع المحل وفتح لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين وتكون الطامة حقيقة التذكر والبروز لان حسن العمل يغلب كل لذة وسواه كل مشقة وكذا بروز الجحيم مع الابتلاء به يغلب كل مشقة ومع النجاة عنه كل لذة ولا يخفى تسفه وقيل ظرف لجات وعليه الطبرسى واستظهر انه منصوب باعنى تفسيراً للطامة الكبرى وماموصولة وسمى بمعنى عمل والمائد مقدر رأى له والمراد يوم يتذكر كل أحد ماعمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا فى صحيفته وقد كان نسيه من فرط الففلة أو طول الامد أو شدة مالتى أو كثرته التى تمجز الحافظ عن الضبط لقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويمكن ان يكون تذكره بوجه آخر وجوز ان تكون مامصدرية أى يتذكر فيه سببه ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ﴾ عطف على جات وقيل على يتذكر وقيل حال من الانسان بتقدير قد أو بدونه والموصول بعد معنى عن المائد وكلا القولين على ما فى الارشاد على تقدير الجواب يتذكر الانسان ونحوه وسيأتى ان شاء الله تعالى فلا تغفل ومعنى برزت أظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد ﴿لَمِنَ بَرَى﴾ كأنهم كان يروى أنه يكشف عنها فتلتظى فيراها كل ذى بصر وخص بعض من الكافر وليس بشيء وقرأت عائشة وزيد بن على وعكرمة ومالك بن دينار وبرزت مبينا للفاعل مخففا لمن ترى بالتاء الفوقية على أن فيه ضمير جهنم كما فى قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد واسناد الرؤية لها مجازا وهو حقيقة على أن يخلق الله تعالى ذلك فيها ويجوز أن

يكون خطابا لسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل راه كقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون أى لمن تراه من الكفار وقرأ أبو نهبك وأبو السمال وهرون عن ابي عمرو وبرزت مبنيًا للمفعول مخففا وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ الخ جواب اذا على أنها شرطية لا ظرفية كما جوز على طريقة قوله تعالى فاما بأنتنكم منى هدى الآية وقولك اذا جاءك بنو تميم فاما العاصى فاهنه وأما الطائع فآكرمه واختاره أبو حيان وقيل جوابها محذوف كأنه قيل فاذا جاءت وقع مالا يدخل تحت الوصف وقوله سبحانه فاما الخ تفصيل لذلك المحذوف وفي جملة جوابنا غموض وهو وجه وحيه بيد أنه لا غموض في ذلك بعد تحقق استقامة أن يقال فاذا جاءت فان الطاغى الجحيم مأواه وغيره في الجنة منواه وزيادة أما لم تفد الا زيادة المبالغة وتحقيق الترتب والثبوت على كل تقدير وقيل هو محذوف لدلالة ما قبله والتقدير ظهرت الاعمال ونشرت الصحف أو يتذكر الانسان ما سعى أو لدلالة ما بعد والتقدير انقسم الراؤن قسمين وليس بذلك أى فاما من عنا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في المصيان حتى كفر ﴿ وَأَثَرَ ﴾ أى اختار ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ الفانية التى هى على جناح الفوات فانهمك فيما تمتع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايان والطاعة ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ ﴾ التى ذكر شأنها ﴿ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أى مأواه على مارآه الكوفيون من أن ال في منته عوض عن المضاف اليه الضمير وبها يحصل الربط أو للمأوى له على رأى البصريين من عدم كونها عوضا ورباطا وهذا الحذف هنا للملم بان الطاغى هو صاحب المأوى وحسنه وقوع المأوى فاصلة وهو الذى اختاره الزمخشري. وهى أما ضمير فصل لا محل له من الاعراب او ضمير جهنم مبتدأ والسكلام دال على الحصر أى كأنه قيل فان الجحيم هى مأواه أو المأوى له لا مأوى له سواها ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ أى مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى على انب الاضافة مثلها في رقاد حلب او واما من خاف ربه سبحانه على ان لفظ مقام مقحم والكلام معه كناية عن ذلك واثبات للخوف من الرب عز وجل بطريق برهاني بليغ نظير ما قيل في قوله تعالى اكرمى منواه وتام السكلام في ذلك قد تقدم في سورة الرحمن ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ أى زجرها وكفها عن الهوى المردى وهو الميل الى الشهوات وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الحيرات ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها ولم يفتقر بزخارفها وزينتها علما بوخامة عاقبتها وعن ابن عباس ومقاتل أنه الرجل يهم بالمصيبة فيذكر مقامه للحساب بين يدي ربه سبحانه فيخاف فيتركها وأصل الهوى مطلق الميل وشاع في الميل الى الشهوة وسمى بذلك على ما قال الراغب لانه هوى بصاحبه في الدنيا الى كل واهية وفي الآخرة الى الهاوية ولذلك مدح مخالفه قال بعض الحكماء اذا اردت الصواب فانظر هواك مخالفه وقال الفضيل أفضل الاعمال مخالفة الهوى وقال أبو عمران الميرتلى

مخالف هواها واعصها ان من يطع ✽ هوى نفسه تنزع به شر منزع

ومن يطع النفس اللجوجية ترده ✽ وترم به في مصرع أى مصرع

الى غير ذلك وقد قارب ان يكون قبح موافقة الهوى وحسن مخالفته ضروريين الا ان السلام من الموافقة قليل قل سهل لايسلم من الهوى الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين فطوسى ان سلم منه ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ له لاغيرها والظاهر أن هذا التفصيل عام في أهل النار وأهل الجنة وعن ابن عباس ان الآيتين نزلتا في أى عزيز بن عمير وأخيه مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه كان الاول طاغيا ومؤثر الحياة الدنيا وكان مصعب خائفا مقام ربه ناهيا النفس عن الهوى وقد وثق

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص اى السهام في جوفه فلما رآه عليه الصلاة والسلام متسحطا في دمه قال عند الله تعالى احتسبك وقال لاصحابه لقد رأيت به وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب ولما أمر أخوه أبو عزيز ولم يشد وثاقه اكراما له وأخبر بذلك قال ما هو لى باخ شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا وفي الكشف أنه قتل أخاه أبا عزيز يوم أحد وعن ابن عباس أيضا انهما نزلنا في أبي جهل وفي مصعب وقيل نزلت الاولى في النضر وابنه الحرث المشهورين بالقلو في الكفر والطغيان ﴿ يَسْمَأُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَانُ مَرُ سَاهَا ﴾ أى متى ارساؤها أى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويكونها ويثبتها فالمرسى مصدر ميمى من سار بمعنى ثبت ومنه الجبال الرواسى وحاصل الجملة الاستفهامية السؤال عن زمان ثبوتها ووجودها وجوز أن يكون المرسى بمعنى المنتهى أى متى منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه كذا قيل وتقدير الاستفهام حتى يقتضى ان المرسى اسم زمان وقوله كما ان الخ ظاهر في انه اسم مكان ولذا قيل الكلام على الاستمارة بجمل اليوم المتباعد فيه كدخض سائر لا يدرك ويوصل اليه مالم يستقر في مكان فجعل وقت درا كه مستقرا له فتدبر وقوله تعالى ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ انكار ورد لسؤال المشركين عنها أى في أى شىء انت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألوك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها فالاستفهام للانكار وفيه خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر ومن ذكراها على تقدير مضاف أى ذكرى وقتها متعلق بما تعاق به الخبر وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده استئناف لتلليل للانكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث في نسف الساعة علامة من علامتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فبنى قوله تعالى ﴿ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَبًا ﴾ على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكهها وتفصيل أمرها وقت وقوعها لا الى أحد غيره سبحانه وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها وشارفتها وقد حصل لهم ذلك بجمعك فامضى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الاول فعناه اليه عز وجل انتهاء علمها ليس لاحد منتهى كائناتنا ما كان فلا شىء يسألونك عنها وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴾ عليه تقرير لما قبل من قوله سبحانه فيم أنت من ذكراها وتحقق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام في ذلك الشأن فان انكار كونه صلى الله تعالى عليه وسلم في شىء من ذكراها مما يوهم بظاهاه أن ليس له عليه الصلاة والسلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فاذبح ذلك ببيان ان المنفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكراها لم بتعيين وقتها حسبا كانوا يسألونه عنها فاللهنى إنما انت منذر من يخشاها ويخاف اهوالها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحبط به لا معلم بتعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فإلهم يسألونك عما لم تبعت له ولم يفوض اليك امره وعلى الوجه الثانى هو تقرير اقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقى والظاهر على الاول أن القصر من قصر الموصوف على الصفة والمعنى ما أنت الامنذر لا معلم بالوقت معين له وانما ذكر صلة المنذر اظهارا لكونها ذات مدخل في القصر لكون الكلام في القصر على منذر خاص ونفى اعلام خاص يقابله وكونه من قصر الصفة على الموصوف بناء على ما يتبادر الى الفهم من كلام السكاكى أن المعنى انما أنت منذر الخاشى دون من لا يخشى أى ما أنت منذر الامن يخشى دون غيره غير مناسب للمقام على أنه

قيل عليه ان من يخشى من صلة منسذر ليس من متعلق انما في شيء ليكمل الجزء الاخير المقصور  
 عليه الانذار وهذا ان صح استلزام عدم صحة ماقرر لكن في صحته مقال اذ يستلزم ايضا ان لا يصح  
 انما هو غلام زيد لا عمرو وانما هو ضارب عمر الأزيدا مع شهرة استعمال ذلك من غير نكير فتأمل والظاهر  
 على الثاني ان انما مجرد التأكيد زيادة في الاعتناء بشأن الخبر وليست للحصر اذ لا يتعلق به غرض عليه بحسب  
 الظاهر على ما قيل وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) اما تقرر يرونا كيدلما يبي  
 عنه الانذار من سرعة مجي المنذره لاسيما على الوجه الثاني والمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار الا قليلا  
 واما رد ادعوى في سؤالهم فانهم كانوا يسلون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها  
 ويقولون متى هذا الوعدان كتنهم صادقين والمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعد بها الا عشية الخ وهذا الكلام على  
 ما نقل عن الزمخشري له أصل وهو لم يلبثوا الا ساعة من نهار عشية او ضحاها فوضع هذا المختصر موضعه وانما  
 أفادت الاضافة ذلك كما في الكشف من حيث انك اذا قلت لم يلبثوا الا عشية او ضحاها احتمل أن تكون  
 العشية من يوم والضحى من آخر فيتوهم الاستمرار من ذلك الزمان الى مثله من اليوم الآخر اما اذا  
 قلت عشية او ضحاها لم يحتمل ذلك البتة وفي قولك ضحاها تلك العشية ما يعنى عن قولك عشية ذلك النهار  
 أو ضحاها وقال الطيبي انه من المحتمل أن يراد بالعشية أو الضحى كل اليوم مجازا فلما أضيف أفاد  
 التأكيد ونفى ذلك الاحتمال وجمله من باب رأيت بعينى وهو حسن ولكن السابق ابعد من التكلف ولا  
 منع من الجمع وزاد الاضافة حسنا كون الكلمة فاصلة واعتبر جمع كون اللبث في الدنيا وبعضهم كونه في القبور  
 وجوز كونه فيهما واختار في الارشاد ما قدمنا وقال ان الذى يقتضيه المقام اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد  
 الوعد تحقيقاً للانذار وريداً لاستبطائهم والجملة على الوجه الاول حال من الموصول كأنه قيل تذرهم مشبهين يوم  
 يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها من  
 الاعراب هذا ولا يخفى عليك ان الوجه الثاني وان كان حسناً في نفسه لكنه مما لا يتبادر الى الفهم وعليه يحسن  
 الوقف على فيم ثم يستأنف أنت من ذكرها لثلاثا يلبس وقيل أن قوله تعالى فيم الخ متصل بسؤالهم على أنه  
 بدل من جملة يسألونك الخ أو هو بتقدير القول أى يسألونك عن زمان قيام الساعة ويقولون لك في أى مرتبة  
 أنت من ذكرها أى عنها أى ما مبلغ علمك فيها أو يسألونك عن ذلك قائلين لك في أى مرتبة أنت الخ  
 والجواب عليه قوله تعالى الى ربك منتهاها ولا يخفى ضعف ذلك وأخرج البزار وابن جرير وابن المنذر وابن  
 مردويه والحاكم وصححه عن عائشة قالت ما زال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى  
 أنزل الله تعالى عليه فيم أنت من ذكرها الى ربك منتهاها فانتهى عليه الصلاة والسلام فلم يسأل بعدها وأخرج  
 النسائي وغيره عن طارق بن شهاب قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكتر ذكر الساعة حتى تزلت فيم  
 أنت من ذكرها الى ربك منتهاها فكف عنها وعلى هذا فهو تعجيب من كثرة ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لها كأنه  
 قيل في أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحصرك على جوابهم  
 لا تزال تذكرها وتسال عنها ونظر فيه ابن المنبر بان قوله عز وجل يسألونك كأنك حفي عنها يرد اذا المراد انك  
 لا تحفى بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسألونك كما يسأل الخفى عن الشيء أى الكثير السؤال عنه وأجيب  
 بانه يحتمل أنه لم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لا احتفاء ثم كان وان سؤالهم هذا وتزول الآية بعد  
 وقوع الاحتفاء وأنت تعلم ما في ذلك من البعد وقرأ أبو جعفر وشيبة وخالد الحذاء وابن هرمز وعيسى وطلحة  
 وابن عبيصن وابن مقسم وأبو عمرو في رواية منسذر بالتثوين والاعمال وهو الاصل في مثله بعد اعتبار

المشابهة والاضافة للتخفيف فلا ينافي أن الاصل في الاسماء عدم الاعمال والاعمال عارض للشبه والوصف عند اعماله واضافته للتخفيف صالح للحال والاستقبال واذا أريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد أمس وهو هنا على ما قيل للحال لمقارنة يخشى ولا ينافي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم منذر في الماضي والمستقبل حتى يقال المناسب لحال الرسالة الاستمرار ومثله يجوز فيه الاعمال وعدمه ثم المراد بالحال حال الحكم لا حال التكلم وفي ذلك كلام في كتب الاصول فلا تغفل والله تعالى أعلم

### سورة عبس

وتسمى سورة الصاخة وسورة السفرة وسميت في غير كتاب سورة الاعمى وهي مكية بلا خلاف وأبيها اثنتان واربعون في الحجازي والكوفي واحدى واربعون في البصرى واربعون في الشامي والمدني الاول ولما ذكر سبحانه فيما قبلها انما أنت منذر من يخشاها ذكر عز وجل في هذه من ينفعه الانذار ومن لم ينفعه فقال عز من قائل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ إِنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝) الخ روى أن ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي القرظي وقيل عبد الله بن عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري والاول أكثر وأشهر كما في جامع الاصول وأم مكتوم كنية أمه واسمها عاتكة بنت عبد الله المخزومية وظل الزمخشري في جعلها في الكشاف جدته وكانت أعمى وعمى بعد نور وقيل ولد أعمى ولذا قيل لأمه أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأميمة بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئتى وعلقتى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبتى فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فكان يصلى بالناس ثلاث عشرة مرة كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن أهل العلم بالسيرة ثم استخلف بعده أبا ليابة وهو من المهاجرين الاولين هاجر على الصحيح قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووم القرظي في زعمه أنه مدني وأنه لم يجتمع بالصناديد المذكورين من أهل مكة وموته قيل بالقادسية شهيدا يوم فتح المدائن أيام عمر رضى الله تعالى عنه وراه أنس يومئذ وعليه درع وله راية سوداء وقيل رجع منها الى المدينة فمات بهارضى الله تعالى عنه وضمير عبس وما بعده للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بضمير الغيبة اجلال به صلى الله تعالى عليه وسلم لا يهام ان من صدر عنه ذلك غيره لانه لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كما أن في التعبير عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بضمير الخطاب في قوله سبحانه (وَمَا يُدْرِيكَ أَعْمَلُكُمُ إِنَّمَا يَزُكُّكُمْ) ذلك لما فيه من الايناس بعد الايحاء والاقبال بعد الاعراض والتعير عن ابن أم مكتوم بالاعمى للاشعار بمذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتشاغله بالقوم وقيل ان الغيبة أولا والخطاب ثانيا لزيادة الانكار وذلك كمن يشكو الى الناس جانيا حتى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حوى على الشكاية مواجها بالتوبيخ والزمام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك لانه وصف يناسب الاقبال عليه والتعطف وفيه أيضا دفع ايهام الاختصاص بالاعمى المدين وإيماء الى أن كل